الطلقة

قصة بقلم أحمد محفوظ عمر

حين دوت الطلقة فجأة لتمزق السكون من حولي ، شعرت بوخزة حادة في كتفي اليمنى ، فارتفعت يدي اليسرى بحركة عفوية الى موضع الالم تتحسسه وتضغط عليه .

قبل ان اسقط ... استدرت حول نفسي دورة كاملة ، موزعا نظراتي في كل الاتجاهات .. لا اثر لاي شيء .. الخصم غائب عن عيني .. حاضر في جسدي ، الابواب والنوافذ موصدة السكون يضاعف المي بثقله المكرب ... تسارعت ضربات القلب .. احتشد الظلام في عيني ... سقطت على الارض ، اندس وجهي بين حبات التراب .. ويسراي التفت حول صدري .. واستقر كفها على الكتف اليمنى ، تضغط على الالم بجنون منهار ... وهربت من ذهني الدنيا بكل ضجيجها الابدي .

قبل دوي الطلقة ، كنت اسير في العصر ، الطريق مقفرة ، في شارع تنتصب على جانبيه (الفيلات) الانيقة ، وعند اقدامها تربض السيارات (الملاكي) ذات الاطرزة الحديثة .

كان رأسي يصخب وسط الهدوء الظاهري بعشرات الافكار المتعبة .. اقيم معادلة صعبة بين الراتب والمصروفات .. احاول التوفيق ، فيتصدى الفشل للممكن الحذر للقضية .

ـ فواتير ...

اسير وقدماي تضربان الطريق الاسفلتي بفوضى .

ـ فواتير ...

اسير وعيناي تبحلقان في النوافذ والابواب الموصدة .

ـ فواتير ...

اسير ويداي تهفان الهواء بعسر جسيم .

ـ فواتير ... فواتير ... فواتير .

فكري مأزوم .. الحديد بقدمي .. خطواتي ثقيلة ... انفاسي الحارة تضطرم في رأسي ويتبخر دخانها عبر الاذنين بانسياب خفيف لا يلفت الانظار ، بوق يدق رأسي بفظاظة .. سيارة تتجاوزني من بعد بوصات قليلة .. وجه صفيق معلق بين نافذتها والهواء ، بصق من فمه بكلمات رديئة .. تجاهلت ذلك وسرت .

فجأة ... دوى الطلق الناري من الخلف .. وانفرز الالم الصاعق في كتفي اليمنى ... هرولت الى الطوار الترابي في الجانب الايمن اتطوح ، انكفأت على وجهي الذي اندس بين التراب ، بعد ان درت به دورة كاملة .. باحثا عن مصدر الطلقة بدون جدوى .

افقت بغتة .. وبدا وعيي يراوح بين الحضور والغياب .. الفترة الفاصلة بين الغيبوبة والوعي المرجوج ، مجهولة الزمن .. فهي طويلة كقرن كامل ... وقصيرة بعمر الطلقة المشئومة .

رفعت رأسا يبلله الماء .. وفوقه وجه ترابي ضخم .. انفرزت في وسطه عينان صغيرتان تحملقان في وجهي باهتمام وترقب .. ويداه تمسكان بابريق خلا من الماء .

تجمعت في جلسة القرفصاء .. يدي اليسرى معلقة فوق كتفي اليمنى .. قطرات من الدم الساخن تنبع من بين الاصابع ... تبلل ظهري ، وتصبغه بالاحمرار اللزج .

حركت عينيّ الغائمتين حولي .. اصوات متداخلة كثيرة شتتت السكون ... واحكمت الطوق .. بدت وجوههم كتلا من اللحم الحارق ، تتعلق بها اجساد غليظة مكبوسة واخرى دقيقة كالخيوط .

الطلقة تسعر الالم في الكتف ... كفي اليسرى تضغط .... الدم ينسرب من بين اصابعها خيوطا حارة لزجة ... لا اراها .. لكني احسها ... اعيش مرارة المها بكل اللحظات .

صرخت ـ هل أمسكتم الجاني ؟

صمت ـ الجميع .. عيونهم اتسعت بالحيرة .

صرخت ـ شخص ما .. اطلق رصاصة على كتفي .. اين هو ؟

هيمن الصمت على الشفاه المطبقة .

صرخت ـ دمي يهدر عبثا .. انه يخترق القميص .. وينسل من بين الاصابع .

الصمت لا يزال يسيطر ، ويمتد بثبات فوق الوجوه الترابية الضخمة والاجسام الهلامية المتباينة . من الحلقة المحكمة .. برز رجل ربعة .. سمين الوجه ، يخفي عينيه بنظارة طبية .. زجاجها سميك . خرق الصمت بهمهمة مبحوحة .. واقترب مني .. انحنى . رفع كفي عن موضع الالم .. وصوب نظرات متفحصة من خلف زجاجين سميكين

الى كتفي المثقوبة .. الوجوه الضخمة اشرأبت باعناقها الدقيقة تحدق وتدقق .

رفع الرجل وجهه السمين من كتفي ... ومصمص بشفتيه يائسا.. عادت الوجوه الى الاكتاف المنصوبة .

صرخت بالرجل سمين الوجه :

ـ الرصاصة اخترقت الكتف ... الا ترى ؟؟

نظر الى وجهي برهة ... هبط بنصفه الاعلى راكعا على ركبتيه .. وقد بدأت انفاسه تترى بتلاحق مسموع ... فك ازرار قميصي الامامية .. وجذب جانبه الايمن الى الخلف .. شعرت بأصابع يده بارده فوق اللحم في موضع الطلقة .. الوجوه الضخمة تطاولت من جديد تحدق وترقب من كل اتجاه .

سمين الوجه تكامل واقفا ، لبث برهة يسقط فوق رأسي ووجهي نظرات مليئة بالشك والغضب .

ـ لا أثر للطلقة مطلقا .

قذفني بذلك وهو يخترق الصمت والطوق البشري المحكم،بصوته وجسمه الريعة المكتف الى الخارج .

همهمة غامضة حومت حولي من بقية الوجوه المنفوخة ، عرّيت لحم كتفي وانا ادور في جلستي دورة كاملة ، في دائرة قطرها متران .

صرخت ـ الطلقة اخترقت اللحم ، وحطمت لوح الكتف .

تجسمت العيون بالصمت والشك .

صرخت ـ الدم ينزف بغزارة امامكم .

صمت .. صمت ... شك .. شك .

صرخت ـ الالم يمزقني وانتم ساكنون كالاصنام .؟

بقر احدهم الصمت بفحيح مسموع ، وتساءل .

ـ مم يشكو الاخ .؟

اجاب صوت ـ من رصاصة موهومة.

صرخت ـ اقبضوا على الجاني قبل ان يفلت من يد العدالةوتختفي معالم الجريمة .

تساءل ثان ـ متى اصابته هذه اللوثة ؟

اجاب صوت ـ منذ لحظات ... اتعرفه .؟

رد ـ نعم .. كان طيبا ورصينا .

صرخت ـ الطلقة تقتلني ببطء ، وتمكن .. وانتم جامدون .؟

تفكك الطوق .. وبدأ انهياره واضحا .. وحباته البشرية تنفصم وتتطوح بعيدا عني .

صرخت بصوت مبحوح مستجير .

ـ لا تذهبوا ... اوقفوا الالم ... ابحثوا عن الجاني .. انني اموت ..

تم الانهيار الكامل ، وظهر الفراغ انشاسع يحتضن النظرات الحزينة .. وتوهجت فوق هامات اعمدة منصوبة فبضات من نور،تسقط على الوجوه الضخمة الحارقة قبسا من ضوء منثور . تراءى لي كل واحد يغيب عن عيني انه يمد يده اتى كتفه اليمنى ويتحسس الثقب التي احدثته الطلقة .

عدن

احمد محفوظ عمر

البَربَرِ

تأليف الفيلسوف الفرنسي الشهير

روجيه غارودي ترجمة جورج طرابيشي

هذا آخر كتاب ألفه الكاتب الماركسي الفرنسي الكبير روجيه غارودي ، وهو ينطلق من السؤال التالي: ما هي الاشياء التي تفضحها الشبيبة ، وما هي الاشياء التي تبشر بها ؟ انه يتوجه الى الشبيبة اذن ، اي الى جميع الذين يعتقدون ان حياة الانسان ليست مصنوعة فقط لكي تقبل او تلعن، بل لكي تبدأ وتخلق. وسيكون بالامكان ان يبلغ هذا الكتاب هدفه اذا ساعد البعض على ان يعوا المأزق ويحاولوا الخروج منه . فاذا استسلمنا لانحرافات الحاضر المفجعة ، فان الانسان ومحيطه سوف يدمران خلال ثلاثين عاما ، بحيث لا يكون ثمة وقت للعيش ...

ان يعي الانسان الممكن ، هو ان يبدل مفهوم السياسة نفسها ، وليس هو الاعتقاد بوصفة ما سحرية تنقذنا من « الخارج » ، بلا مشاركتنا الشخصية . ليس ثمة تحرير ممنوح ، بل ثمة نار يمكن ان تشتعل . وقد تنطفيء هذه النار اذا لم يكن ثمة انسان مصمم على تغذيتها بأفضل ما في نفسه ووجوده .

واذن ، فان هذا الكتاب التزام : التزام بالنسبة لمن كتبه ، والتزام بالنسبة لمن يقرأه .

ويقول غارودي : لقد كنت مجبرا على كتابته لاظل امينا للحلم الذي كان يراودني وانا في العشرين . فهو يمثل في حياتي انقطاعا وتكملة في آن واحد، استئصالا وتأصيلا جديدين للجذور . »

صدر حديثا

ثمن النسخة ٥ ل . ل